

أفغانستان بعد الانسحاب العسكري الأميركي.. هل تصبح إمارة لطالبان أم خلافة لداعش

روسيا تقلب عداءها للحركة إلى تعاون تجنباً لاندلاع الفوضى على حدودها



الانسحاب الأميركي.. انتصار لطالبان وخيبة أمل للشعب الأفغاني

يرى مريدو الجهاد وحمل السلاح في مختلف مناطق العالم في أفغانستان مكاناً مهيماً وجانياً إما للانضمام إلى خلافة داعش أو للالتحاق بحكم طالبان الذي سيجري الترويج له بصفته حكماً إسلامياً تديره حكومة مُمكنة ومنتصرة ومعترف بها دولياً وتربطها علاقات بحبيبتها الإقليمي، تمييزاً لها عن فرع داعش غير المخنّ والذي لم يتحول من مستوى الميليشيا إلى مستوى الكيان السياسي الدولي المعترف به.

يبحث واقع ما بعد الانسحاب الأميركي والدولي برسائل تفهمها جيداً موسكو التي تجمعها بواشنطن ثارات متبادلة باستخدام سلاح الجهاديين والإسلاميين انطلاقاً من الساحة الأفغانية، علاوة على ما قد ينطوي عليه الانسحاب من رغبة أكبر من إرضاء الداخل الأميركي وإنهاء الحروب الأبدية وهي ترك فوضى جهادية إسلاموية قريبة من روسيا في أفغانستان تضاف إلى منغص أوكرانيا.

داعش سيسعى للمنافسة بنموذج خلافته العالمية التي تتخذ من أفغانستان منطلقاً لتوجيه الولايات التابعة له في العالم

بالرغم من أن المنطق يحتم التعاون بين روسيا والولايات المتحدة في وجه التهديدات الناجمة من الإرهاب إلا أن القارية التي يتبناها مسؤولو الدولتين، وهي أن ما يضر موسكو وينفع واشنطن والعكس، تشمل أيضاً أفة الإرهاب. ولن تنسى روسيا بسهولة أحداث أفغانستان في ثمانينات القرن الماضي، ولن تتغاضى واشنطن عما أشيع في يونيو 2020 عن تقديم موسكو مكافآت لطلابان نظير هجماتها ضد القوات الأميركية والناو. استبقت موسكو سيناريوهات الانسحاب الأميركي من أفغانستان وقلبت عداءها مع طالبان إلى تعاون لتجنب اندلاع فوضى على حدود نفوذها في آسيا الوسطى، ولأنها من المستحيل أن تتدخل بشكل مباشر في أفغانستان في المرحلة حتى لا تقاوم على أكثر من جبهة ولا تستنزف مواردها، ولتحقيق مصالحها الإستراتيجية الخاصة، بما يثبت أنها قوة عظمى تستطيع رعاية هذه المصالح بمفردها دون التعويل على الولايات المتحدة وفي غيابها وحلف الناو عن المنطقة.

ضخمة بمصادر تمويل طالبان الذاتية المتواضعة التي تأتي معظمها من تجارة المخدرات وفرض الضرائب والإتاوات بالأقاليم التي تسيطر عليها والتنقيب غير القانوني عن المعادن الثمينة فضلاً عن طلب الغنية عبر عمليات الخطف والابتزاز ومكاسب الحركة من عمليات التهريب والتبرعات الخاصة وغنائم الحرب. وصعود طالبان كحركة سياسية شرعية تدير شؤون البلاد يجعلها كياناً قادراً على تقديم الخدمات وتوظيف ذلك سياسياً واجتماعياً لمحو آثار حقبها الوحشية التي قتلت خلالها عشرات الآلاف من المدنيين والمعلمين وحرقت المدارس والمستشفيات.

مشاريع متصارعة

ما جعل طالبان أكثر حرصاً على التمسك بنموذج الحكومة الدينية ورفض الانتخابات والحكومات التشاورية هو وجود نموذج ديني منافس متمثل في داعش الذي يطرح البديل العقائدي والحكم الإسلامي الصارم.

تركيز طالبان على العودة إلى شكل الإمارة الإسلامية التي يرأسها مجلس ديني مُستعبد نموذجها خلال الحقبة بين 1996 و 2001 من شأنه جعل أفغانستان مجدداً ساحة لجذب الجهاديين والتكفيريين من كل بلدان العالم وتحويلها ملاداً لمختلف فصائل السلفية الجهادية التابعة للقاعدة وداعش.

صعود طالبان كيان حاكم وما يتجده للقاعدة من مزايا غير مسبوقة تحت عباها، يدفع داعش بقوة إلى طرح مشروع خلافته المنافس لكليهما والبديل عما انهار لتنظيم الدولة بالعراق وسوريا.

ومن المرجح أن تنتشأ عن ذلك مواجهات على مختلف المستويات تهدف إلى تكريس كل تيار لنموذج خلفته الخاص به؛ ففي حين تطرح طالبان نموذجها المحلي المتطور الذي يمزج بين إقباط كفاءتها في المجال الإداري وتقديم الخدمات للمدنيين لتعويض تشدها في مجال الحريات العامة والفردية، سيسعى داعش للمنافسة بنموذج خلافته العالمية التي تتخذ من أفغانستان منطلقاً لإدارة وتوجيه ولايات تابعة في كل بلدان العالم. ويُغري الواقع الجديد بعد الانسحاب الأميركي والدولي مختلف الكيانات المتطرفة على تكرار ما حصل أواخر تسعينات القرن العشرين حينما غادر أسامة بن لادن السودان لينشئ معسكرات تدريب في ظل حكم طالبان جنوب أفغانستان.

أو وقف استهداف الجيش وقوات الأمن الأفغانية والدخول في مفاوضات جديدة لتقاسم السلطة.

كسب يُؤمن الحركة الإفراج عن الآلاف من أعضائها المحتجزين لدى قوات الأمن الأفغانية اطلت امد المفاوضات مع إدارة الرئيس السابق دونالد ترام لمخمة عن الوفاء بالتزاماتها ولجأت إلى المروغات وتحييد القوات الدولية والأميركية وتنفيذ هجمات على القوات المحلية، ما جعلها تحصل على هدفها بالضغط والخشونة مع الحكومة وهو الإفراج عن سجنائها، وعلى مرادها من الأميركيين بالدبلوماسية وعدم الاستهداف عندما أوفى ترام بالتزاماته المتصوص عليها بالاتفاق وخفض عدد القوات من 13 ألفاً وقت توقيع الاتفاقية إلى نحو 2500 فقط. ومن المتوقع أن تستحدث طالبان أدوات جديدة خلال مرحلة ما بعد الانسحاب الأميركي والدولي المرتقبة لتظل رقماً رئيسياً في المعادلة الداخلية.

وعُد إعلان الانسحاب الأميركي والدولي في حد ذاته الأداة الأهم في يد طالبان؛ لأنه يمنحها وحلفائها فرصة نادرة للحديث عن انتصار جهادي كبير من شأنه أن يرجح كفتها في ظل الصراعات المتقدمة مع ولاية خراسان، فرع داعش في أفغانستان.

وفي حين يزايد أعضاء داعش على القاعديين والطالبانيين بورقة التنازل وإقامة صلح مع الأعداء، سيمتلك عناصر طالبان والقاعدة رواية تبدو أكثر تماسكاً، مفادها أنهم همزموا التحالف الدولي الذي أسقط خلافة داعش في العراق والشام ويصد إعلان الانتصار مجدداً على قوة عظمتي أخرى، وهو نفس الحديث الذي تردد في أعقاب الانسحاب السوفييتي سنة 1989.

تتعامل طالبان مع مرحلة ما بعد الانسحاب بحسب تصريحات قادتها وتفاعلات أعضائها والمواين لها على حساباتهم الخاصة وفق ما تخطط له بالانتقال من مربع الميليشيا إلى مناهج وأدبيات وأدوات الدولة لتحظى بكل الامتيازات التي تحولها إلى كيان سياسي.

يتيح التحول إلى كيان سياسي والصعود إلى مستوى الرقم الأول في المعادلة الأفغانية، مقابل تهميش الحكومة المحلية أو إزاحتها، للحركة تحقيق ما خطط له قادتها، وهو دعم نفوذ طالبان الأكثر تنظيمياً بإمكانات مادية وتمويلية تفتقر لها لتصبح أكثر فاعلية وأوسع نفوذاً.

ولا يُقارن ما تحصل عليه الحكومة الأفغانية المحلية من إمدادات ومساعدات

لن تتغير إستراتيجية طالبان كثيراً لتحقيق أهدافها التنقيية وصولاً إلى استعادة حكم البلاد، وهو الهدف الذي حاربت من أجله منذ الإطاحة بها عام 2001، حيث اعتمدت منذ مطلع الألفية السيطرة على المناطق الريفية انطلاقاً من المآذات الآمنة في باكستان وإيران، وتالياً التوسع بمناطق جديدة بعد تحصين ما سيطرت عليه مسبقاً، حتى تمكنت وفق هذا التدرج من الهيمنة على مساحات شاسعة من أفغانستان.

من المرجح أن تواصل الحركة الزحف بنفس الإستراتيجية بغرض السيطرة على عواصم المقاطعات والأقاليم وإحراز ما يمكنها عملياً على الأرض من إزاحة الحكومة المركزية في كابول كي تحل محلها، مستندة على ما جرى من اعتراف أميركي ودولي صريح بقوتها الراهنة كطرف رئيسي على الساحة الأفغانية وعلى قاعدتها التمويلية الذاتية المستقرة.

وستواصل طالبان تشكيكها في شرعية ما تسميه "الحكومة الديمقراطية"، ضمن مساعيها النهائية لإقصاء حكومة الوحدة الوطنية المعترف بها دولياً وتقديم نفسها كبديل يحتكر المساعدات المالية الغربية تحت زعم فساد الحكومة القائمة وعدم كفاءتها وما تروجه الحركة للغرب وللداخل الأفغاني بشأن أحقيتها في القيام بهذا الدور لإيصال تلك المعونات إلى المدنيين الأفغان وإلى مستحقيها بشفاافية من خلال إدارة حازمة لا تعاني من الفساد.

أدوات جديدة

ظلت الأداة الرئيسية المفضلة لدى حركة طالبان طوال الفترة الماضية منذ توقيع اتفاقية السلام مع واشنطن في فبراير 2020 جني المكاسب والاستفادة من تنفيذ الولايات المتحدة تعهداتها، مقابل نكوص الحركة عن الوفاء بالتزاماتها في ما يتعلق بفك الارتباط مع تنظيم القاعدة

من شأن إعلان الولايات المتحدة عن انسحاب كامل لقواتها من أفغانستان بحلول الـ11 من سبتمبر أن يطمئن من يريدون نهاية الحرب، لكنه يثير قلق من يخشون عودة طالبان إلى الحكم، حيث ستستفيد من الفراغ الأمني وفقدان واشنطن إرادة الاستمرار للزحف نحو السلطة. كما سيفتح الانسحاب الأميركي الباب لداعش الذي يقدم نفسه كبديل عقائدي للتنافس مع الحركة والترويج من جديد لدولة الخلافة، ما يعني أن أفغانستان ستحتل مجدداً إلى ساحة لجذب الجهاديين والتكفيريين من كل بلدان العالم، وهو ما يثير مخاوف روسيا التي استبقت سيناريوهات الانسحاب الأميركي وقلبت عداءها لطالبان إلى تعاون لتجنب اندلاع الفوضى بالقرب من حدودها.

ستعزز رغبة الداخل الأفغاني والمحيط الإقليمي لأفغانستان في تفادي سيناريوهات الحرب الأهلية والفوضى الشاملة من إمكانات وقدرات طالبان الوافقة من نفسها للعب دور رئيسي في مستقبل أفغانستان، وهو ما يمكنها من تحقيق هدفها التالي بعد انسحاب القوات الأجنبية، وهو انهيار الحكومة المحلية دون دعم أميركي في غضون أشهر وتثبيت طالبان في موضع المسؤولية عن إدارة البلاد وتلقي الدعم والمساعدات المالية الدولية.

قادة طالبان الذين أنكروا التطورات الإيجابية ورفضوا القبول بكل التغييرات التي جرت في غياب حركتهم على مدى السنوات العشرين الأخيرة في مشهد السلطة، يدفعون عن أنفسهم تهمة فشل تجربتهم السابقة في الحكم ويبررون ذلك بعدم تلقيهم مساعدات مالية أو أي شكل من أشكال الدعم الدولي، واليوم يقولون للاميركيين والمجتمع الدولي نحن أحق من الحكومة الحالية بما يعترها من فساد وسوء إدارة بهذا الدعم، وانظروا إذا وُضعنا في موضع المسؤولية ما يمكننا فعله بكل الدعم السخي.

بعد خروج آخر جندي أميركي ستصبح طالبان قريبة من فرض سيطرتها على المزيد من المقاطعات الرئيسية في الدولة؛ حيث تسيطر حالياً على نحو ثلثي الأراضي الأفغانية وقسم كبير من المناطق الريفية والطرق الإستراتيجية، ويدير أعضاؤها فعلياً الكثير من المدن الواقعة تحت سيطرة الحكومة، لكن مع فقدان السلطة المحلية الدعم العسكري والمالي الأميركي سيكون في متناولها الاستحواذ على المدن الكبرى والوصول إلى كابول.

بعد خروج آخر جندي أميركي ستصبح طالبان قريبة من فرض سيطرتها على المزيد من المقاطعات الرئيسية في الدولة؛ حيث تسيطر حالياً على نحو ثلثي الأراضي الأفغانية وقسم كبير من المناطق الريفية والطرق الإستراتيجية



هشام النجار
كاتب مصري

القاهرة - بدأ بعد الإعلان الرسمي عن سحب الولايات المتحدة قواتها من أفغانستان دون شروط كان الزمان عاد إلى هيئة في منتصف تسعينات القرن الماضي، عندما استفاد قادة طالبان في نزوة الحرب الأهلية من غياب كافة أشكال الحكم المركزي لإنجاح زحفهم نحو السلطة.

لا يهم الموعود ما دام الانسحاب سيتم، ولا يغير تحديد الرئيس الأميركي جو بايدن الذكرى العشرين لهجمات الحادي عشر من سبتمبر آخر أجل لإتمامه من الأوضاع وخطط طالبان المستقبلية التي انتظر قادتها وحلفاؤها تلك اللحظة بفارغ الصبر لاستغلالها كحدث تاريخي واعتباره انتصاراً على قوة كبرى أخرى يدفع بها إلى الصدارة ويؤيد من أسهمها لاستعادة السيطرة على البلاد.

وأقر بايدن في خطاب القاءه في البيت الأبيض بأن أهداف بلاده في أفغانستان أصبحت غامضة على نحو متزايد خلال العقد الماضي، محمداً مهلة لسحب جميع القوات الأميركية المتبقية في أفغانستان والبالغ عددها 2500 في موعد أقصاه 11 سبتمبر المقبل، قائلاً "إن الوقت قد حان للوضع حد لأطول حرب خاضتها الولايات المتحدة في تاريخها".

بعد عقدين من أطول حرب تخوضها الولايات المتحدة وبعد عشرين عاماً من هجمات تنظيم القاعدة يُعاد الاعتبار للشهيد لوزير الخارجية الأميركي الأسبق هنري كيسنجر "إن المتطرفين يفوزون إذا لم يخسروا، وهذا يعني أن كل ما يجب على المتطرفين القيام به هو المكوث في أماكنهم والمقاومة والانتظار حتى يفقد خصمهم الإرادة للاستمرار".

ليست الولايات المتحدة ولا حلفاؤها في الناتو فقط من فقدوا الإرادة للاستمرار، وإنما أيضاً الطرف الأهم في المعادلة وهو الشعب الأفغاني الذي فقد الأمل في تحقيق مجتمع عصري مفتوح ينعم بالحريات والاستقرار، فلم يعد محط رهان أي قوة خارجية لفرض التغيير بعد أن أعبته الحروب وأصابه الإحباط من وحشية أطراف المعركة، وصار لا يرى أية جبهة داخلية فاعلة خياراً جيداً، وعلمته سنوات الحرب وعقود الفوضى أن خياراته لا تهم كثيراً.

مفاتيح الدولة

بات الطريق أمام سيطرة طالبان على أفغانستان مفتوحاً بعد خسارة رهان أطراف داخلية وخارجية على إدارة الرئيس جو بايدن الذي خيب الأمل ولم يخالف سياسات سلفه الرئيس دونالد ترام في الملف الأفغاني والتي شجعت وأفادت حركة طالبان كثيراً.

ما سيؤدي من ثقة طالبان في قدرتها على تحقيق النصر العسكري والسياسي أن قرار الانسحاب غير مشروط، ما يعكس الرغبة الأميركية في التخلص بشكل نهائي من الكابوس الأفغاني، مقابل بداية كابوس جديد للأفغان الذين يخشون اندلاع حرب أهلية جديدة بعد انسحاب كل قوات حلف الناو، كما جرى بعد خروج قوات الاتحاد السوفييتي أواخر ثمانينات القرن الماضي.